مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية | المجلد 06 / العـــدد: 24(2022)، ص 175-185

زيارة الداي حسين باشا إلى العاصمة الفرنسية باريس ونتائجها (1830-1833م)

The visit of the Pasha of Algiers "Hussein Day" to Paris and its results(1830-1833).

سعيد شريدي*
جامعة 20 أوت 1955- سكيكدة (الجزائر)
s.cheridi@univ-skikda.dz

تاريخ الاستلام: 2021/11/15 تاريخ القبول: 2022/05/16

الملخص:

يتناول المقال بالبحث مصير الداي حسين باشا، آخر دايات الجزائر، عقب تسليم الإيالة وتعرضه للنفي القسري إلى إيطاليا، ثم مباشرته من هناك مساعي حثيثة لأجل شرح قضيته للملك لويس فيليب، الذي تولى الحكم في فرنسا على إثر ثورة جويلية. ويحاول الموضوع رصد مراسلات الداي إلى البلاط الفرنسي، منذ رسالته الأولى المؤرخة في 09 أوت 1830م. ثم زيارته إلى باريس واستقباله هناك من قبل الملك نفسه، وما أحدثته هذه الزيارة من ضجة إعلامية وسياسية بين أوساط الفرنسيين في العاصمة باريس. ويحاول المقال أيضا تحليل ما أمكن من خطابات الداي وسياقاتها ضمن رسائله، بغية الوقوف على مطالبه الحقيقية، وردود الفعل الفرنسية منها، التي دفعت به إلى مغادرة إيطاليا واستقراره في مدينة الاسكندرية المصرية. فهذا المقال يكشف عن محاولات الداي حسين تحقيق تسوية سياسية لأزمة احتلال الجزائر، واستعادة دوره السياسي كحاكم للإيالة وفق شروط يرضاها الطرفان، معلقا آمالا عريضة على الملك الجديد لويس فيليب. وهو الأمر الذي لم يستطع تحقيقه أمام العراقيل التي جوبه بها من طرف وزراء الملك وحاشيته، ما اضطره للعودة إلى نابولي ومنها إلى مدينة الاسكندرية، والاستقرار بها إلى أن وافته المنية هناك، في سنة 1830م.

كلمات مفتاحية: الداي حسين، لويس فيليب، زيارة باريس، المطالب السياسية، استعادة الجزائر.

Abs Abstract:

It can be said that this article is the first historical study that details the merits of Day-Hussein's relationship with France after its occupation of Algeria, and about his visit to the French capital, Paris. this article studies the fate of Hussein Pasha, the last day in Algeria, after the fall of the regency of Algiers under French occupation, and the Day was exiled to Naples, Italy, and he undertook a number of efforts to explain his case to King Louis Philippe, who assumed power in France following a July revolution. The topic is trying to shed an analytical reading of the Die's correspondence to the French court, and to reveal the reasons for his visit to Paris. By analyzing his speeches and contexts, and presenting reactions thereof, in the French popular and official circles, in order to identify the real demands of the Day. And searching for the reasons that led him to leave Italy and settle in the Egyptian city of Alexandria until his death. This article has exposed unremitting attempts by Husein Pacha to stop the French occupation and return to his position in governing Algeria, And his confrontation with major obstacles by some politicians and senior ministers in the governments of King Louis Philippe.

Keywords:

Day-Hussein's, visit to Paris, political demands, Louis Philippe, regency of Algiers

* **سعيد شريدي**

- **مقدمة:**

لم تحظ الشخصيات السياسية الفاعلة، من الجانب الجزائري، في أحداث احتلال الجزائر سنة 1830م باهتمام الأبحاث التاريخية. واكتنف الغموض والنسيان مصيرها بعد سقوط مدينة الجزائر. ففيما عدا حمدان بن عثمان خوجة وأحمد بوضربة، اللذان فرضت عرائضهما وأنشطتهما السياسية على المؤرخين الاهتمام بهما وبآثارهما، فإن شخصية الداي حسين التي مثلت رأس السلطة في الإيالة، والذريعة الرئيسية التي بررت بها سلطة الاحتلال غزوا استمر ثلاثة عشر عقدا، وهي الشخصية نفسها التي وقعت اتفاقية تسليم مدينة كانت لردح من الزمن تفرض سطوتها على ضفتي المتوسط وبلاد المغارب، هذه الشخصية التي عكست إحدى صور البطولة في تاريخ الجزائر الحديث ضمن كتابات تاريخية وطنية، وبدت في كتابات أخرى صورة للتهاون والتخاذل السياسي، وربما التواطؤ والخيانة. غير أنها لم تخضع لعدسة الرصد التاريخي في الفترة التي أعقبت سقوط الجزائر. واكتفت أغلب الكتابات التاريخية بالخبر المقتضب عن منفى اختارته هذه الشخصية إلى ليفورن الإيطالية، ثم إلى الإسكندرية المصرية، وكأن رتابة الحياة أو سجنا قد ألم بالرجل، فقيَّد كل حركاته، وألزمه السكون.

إن مجمل الكتابات التاريخية التي اهتمت بتاريخ الاستعمار ومقاومته، وتلك التي اختصت بالبحث في تاريخ أتراك الجزائر، لم تلتفت لهذه الشخصية ومواقفها من تطورات الاحتلال، في إيالة كان حاكما مطلقا عليها. ولم ترصد واقعه الاجتماعي والاقتصادي، وحتى النفسي، وكل حركاته التي أولى لها الجواسيس الفرنسيون اعتبارا مهما، مثلما حُفظت مراسلاته إلى ملوك ووزراء فرنسا من منفاه الاختياري.

ترى: ما هو مصير الداي حسين باشا الجزائر عقب الاحتلال الفرنسي؟ وما هي مطالبه الحقيقية من وراء مراسلته للملك الفرنسي لويس فيليب؟ وماهي ردود الفعل الفرنسية من زيارته تلك؟ وماذا حقق منها؟ وما هي الدوافع التي حملته على مغادرة إيطاليا نحو الاسكندرية؟.

1. تسليم مدينة الجزائر :

بعد فشل الداي حسين في الدفاع عن مدينة الجزائر في وجه الحملة العسكرية الفرنسية اضطر لتوقيع معاهدة استسلام مع الكونت دوبورمونت، قائد الحملة يوم 5 جويلية 1830م، تضمنت المعاهدة بنودا، من بينها الحفاظ على مقدسات ساكنة المدينة، وممتلكاتهم وتجارتهم وصناعتهم، وحرمة نسائهم. إلا أن أبرز بنودها هو ما يتصل بمصير شخص الداي نفسه، حيث تعهد القائد العام للقوات الفرنسية أن يترك له أمواله وأموال حاشيته، وله كامل الحرية في اختيار المكان الذي يأوي إليه هو وعائلته، أو يكون في حماية القائد العام إذا رغب في البقاء في مدينة الجزائر. ولما كانت خزينة القصبة قد وقعت تحت طائلة النهب الفرنسي، فإن الداي قد طالب بما مقداره 30000 ترترة (170 ألف فرنك)، مصرحا بأنها ملكا له، كان قد احتفظ بها في القصبة، وقد أمر دوبورمونت أن يسلم له هذا المبلغ كاملا، وعلى الفور. وتم له ذلك في يوم 09جويلية. وسُمح له بأخذ بعض مقتنياته الثمينة من خناجر ومسدسات وأفرشة وأثاث. كما سمح له بنقل عائلته وجواريه وخدمه[1].

اختار الداي المخلوع جزيرة مالطا ملاذا له، غير أن قائد الحملة الفرنسية رفض ذلك، بحكم العداوة بين مالطا وفرنسا، فتم إلزام الداي على اختيار نابولي، التي أبحر إليها منطلقا من مدينة الجزائر في مساء اليوم العاشر من جويلية، حين غادر حسين باشا مدينة الجزائر على متن فرقاطة جان دارك La Jeanne d'Arc برفقته 110 من حاشيته، من بينهم 55 رجلا. وفي يوم 23 من الشهر وصلت الباخرة التي تقل الداي إلى ميناء

[1] نورد نص هذا البند من المعاهدة كما ورد:

«Le Dey sera libre de se retirer avec sa famille et ses richesse dans le lieu qu'il fixera; et, tant qu'il restera à Alger, il sera, lui et toute sa famille, sous la protection du général en chef de l'armée française. Une garde lui sera donnée pour la sûreté de sa personne et de sa famille. » **A .Fillias-Histoire de la conquête et de la colonisation de l'Algérie(1830-1860)- Arnauld de Vresse - Paris- 1860-p83**.

ماهون بجزيرة مينورقة، ثم واصلت الرحلة في أواخر الشهر إلى نابولي التي نزل بها يوم 31 جويلية، وفضل الاستقرار في مدينة ليفورن مرفقا بزوجاته وخدمه، وحاشيته من كبار موظفيه في مدينة الجزائر قبل سقوطها[2].

2. مراسلات حسين باشا إلى فرنسا:

بدأت أولى مراسلات حسين باشا من منفاه إلى ملوك ووزراء فرنسا في 25 سبتمبر 1830م، أي بعد حوالي ثلاثة أشهر من تسليمه الإيالة، وتأتي هذه المراسلة بعد ارتقاء لويس فيليب عرش الملكية في فرنسا على إثر ثورة جويلية[3]، في 09 أوت 1830م؛ إذ أرسل الداي من ملجئه في ليفورن رسالة إلى الملك الجديد، شاكيا فيها "حاله التعيس"، مبديا انزعاجا نفسانيا رهيبا، من جراء ما اعتبره ظلما حاق به، وبوطنه. بفعل تآمر القنصل الفرنسي دوفال، كلفه دمار بلاده وانهزاما ونفيا.

تضمنت رسالة داي الجزائر السابق سردا مختصرا لقصة الأحداث التي انتهت بخلعه، واحتلال الإيالة، صاغه بأسلوب يكشف عن محاولة لتبرئة نفسه من مسؤولية تأزم العلاقات الجزائرية الفرنسية.، مُظهرا تأسِّيه على ما جلبته تصرفاته من شرور على بلده. وقد حاول الداي شرح وقائع الأزمة من خلال مذكرة أرفقها برسالته، تتضمن تفاصيل المخالصة التي تخص الديون التي تستحقها العائلتان اليهوديتان بكري وبوشناق من فرنسا، والمال المحجوز لصالح دائنيهم، محملا إياهم كل المسؤولية فيما جرى لحقوق رعاياه من الجزائريين، بالتواطؤ مع قنصل فرنسا دوفال، والمحامي مفوض العائلتين نيكولا بلفيل.

إن تبريرات داي الجزائر المخلوع تتناغم معها تصريحات صديقه المقرب جدا، السيد حمدان بن عثمان خوجة في مرآته، إذ يسوق الحديث ملمحا إلى الاتهامات التي طالت شخصية الداي وتاريخه، ومحاولات تشويه صورته أمام ملك فرنسا الجديد وحكومته، فنجده يقول" **أنه** (الداي حسين) كان شريف النفس كريمها، ... وليس هناك من يستطيع اتهامه بالجشع، فقد حرص دائما على عدم إراقة الدم البشري، ووفاؤه فيما يخص القيام بالالتزامات معروف في كامل أنحاء أوروبا... ولا يوجد بلاط واحد اشتكى من أن حسين باشا قد خرق المعاهدات التي أبرمها، سواء مع القوي أو مع الضعيف"[4].

أبدى داي الجزائر، في رسالته، ازدواجية خطاب تتأرجح بين الترهيب من الفشل الذي ستمنى به فرنسا في الجزائر. مبررا ذلك بطبيعة الأرض وقساوة المناخ، وعزم السكان. وقد عبر عن ذلك بالعبارة الشهيرة "**استحالة غرس نبات الدفلى الفرنسي في التراب الجزائري**". وبين إبداء الحرص على مصالح فرنسا ومجدها، من أن تعترضها الأخطار. ومرة أخرى يضمِّن الرسالة تحذيرا من المخادعين الذين يمارسون الخيانة باستمرار،

---

[2] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي– **تاريخ الجزائر العام**– ط7 –ديوان المطبوعات الجامعية –الجزائر– 1994– ج3.ص331.

[3] هي ثورة حدثت في 30 جولية 1830م، قامت بها جماعة المتحررين، فقضت على أسرة البوربون. وقد علقت النخب السياسية الجزائرية آمالا عريضة على ثورة جويلية، وعلى الملك الجديد دوق دو أورليان لويس فيليب الذي وصفته المصادر الجزائرية –ضمن خطابات لها نسقها السياسي على كل حال– خاصة بعد عزله للقائد العام دي بورمون وتعيينه لأحد أشهر قادة ثورة جويلية الجنرال كلوزيل.(المتحررين)، بأنه "**كان الإحساس الرقيق، والحلم المشخص، ...كان أفضل رجال القرن.. عادلا وأهلا لأن يحب**"(حمدان بن عثمان خوجة– **المرآة**– ص209). ولكن سرعان ما خيب الآمال بما أبداه من سياسات فظيعة: تعدي على الأملاك، وقتل عشوائي، ونهب وجرائم لا تغتفر. وقوانين عنصرية أقل ما يمكن القول عنها أنها تتعارض مع نظم المساواة والسلام(مصدر نفسه– ص210). ورغم أن لويس فيليب قد عزل دي بورمونت الرجعي المحافظ في 18 أوت 1830م، وعين الجنرال كلوزيل الذي كان يدعي التحرر، إلا أنه أظهر وجهين مختلفين تماما، وجها ليبراليا متحررا في البرلمان الفرنسي، ووجها رجعيا استعماريا في الجزائر. أنظر: أبو القاسم، سعد الله– **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**– ط2– الشركة الوطنية للنشر والتوزيع– الجزائر– 1984– ج1– ص276.

[4] حمدان بن عثمان خوجة–**المرآة**– تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري– منشورات ANEP– الجزائر–2005– ص136.

في إشارة إلى التاجرين اليهوديين. وهو خطاب يمكن اعتباره جس نبض، أو تحسس رد فعل، سيفتح أمام الداي فرصة إبداء الرغبة في الانتقال إلى باريس، عله يجد لدى لويس فيليب من التفاهمات والمراجعات ما لم يجده لدى وريث عرش آل بوربون، الرجعي المتشدد شارل العاشر[5].

3. حسين داي في باريس:

يبدو أن الداي حسين قد سافر إلى باريس لمقابلة الملك لويس فيليب في أوائل شهر أوت 1831م، بعد أن انتظر ردا على رسالته الأولى ما يقارب حولا كاملا. واختارت له مديرية الشؤون الخارجية الفرنسية شقة في الطابق الأول من فندق بسيط في أحد أحياء باريس الآمنة[6]. وفي 24 أوت 1831م حصل الداي على جلسة استماع من العائلة الملكية، تبعتها مرافقة بعض الشخصيات الباريسية له إلى بعض معالم المدينة الثقافية كقصر فينسان ودار الأوبرا، أين اصطحباه الجنرالين دومسنيل Daumesnil وغورغو Gourgaud، وحضر مناورات واستعراضات عسكرية وغمراه بالمجاملات.كما تمت دعوته لسهرة عشاء مع رئيس مجلس الوزراء[7] السيد كزيميربيريي[8]Casimir Perier.ويبدو أن الداي قد تردد مرارا على دار الأوبرا، أين قام الرسام لوبول M. Lepaulle برسم صورة (بورتريه) له في مدرج دار الأوبرا[9].

أحدثت زيارة حسين داي إلى باريس، واستقباله من طرف العائلة المالكة وبعض الشخصيات الباريسية ضجة كبيرة لدى الرأي العام الفرنسي. كما أولت النخب المثقفة والصحافة الباريسية اهتماما معتبرا لهذا الحدث، الذي تزامن مع زيارة العائلة المالكة في البرازيل إلى باريس، وكادت أن تتفق أغلب الدوائر الإعلامية هناك على رفض زيارة الداي؛ بل كانت محل ازدراء واستهزاء تجاه شخص الداي، وتجاه الذين وفروا له أجواء احتفالية في العاصمة الفرنسية. فمثلا عبرت صحيفة فيغارو Figaroعن زيارة الداي إلى منتجع لوكسمبورغ الترفيهي يوم 23 أوت 1831م، ساخرة بقولها في خبر مقتضب جدا: "داي الجزائر يزور أمس حديقة لوكسومبورغ، هناك في فضائها الرائع يكتشف جليا طعم الحياة بلاجدوى في بلده"[10]. وقد أولت الصحيفة نفسها بعض الاهتمام بالداي وتنقلاته في باريس؛ حيث نقلت مختصرا آخر عن زيارته إلى دار الأوبرا يوم الجمعة 26 أوت 1831م[11]. أما صحيفة البرق الفرنسي L'Echo Francaisفأوردت خبرا مختصرا، هي الأخرى، حول زيارة الداي إلى دار الأوبرا، وإعجابه بتقاليد الفرنسيين في تنظيم حجز التذاكر ودخول المسرح، وتدوين اسمه على[12]«M. Hussein, ex- Dey d'Alger »وهو خبر لا يخلو من السخرية على كل حال.

لم يتوقف الاهتمام بهذه الزيارة على رجال الصحافة والسياسيين فحسب، فقد اهتم بها رجال الأدب والفنانين ومختلف الفعاليات الثقافية الباريسية، وتناولها الشعراء وكتاب المسرح أيضا. ووصلت مظاهرالازدراء بزيارة الداي حد اختياره كشخصية من شخصيات بعض الأعمال المسرحية. ففي يوم 30 سبتمبر 1831م عرضت لأول مرة على مسرح جيناس دراماتيك Gynnase Dramatique بباريس مسرحية كوميدية بعنوان "زيارة

---

[5] هذه العبارة التي استعملها للتعبير عن سروره بالانتصار الفرنسي في الجزائر بعد سقوط مدينة الجزائر.

[6] A. JAL - **Une visite au Dey d'Alger**. Revue de Paris- 1831- p40.

[7] Ibid- p43.

[8] كزيمير بيار بيريي *Casimir-Pierre Perier*، من أشهر أثرياء التجار الفرنسين، أحد أهم ملاك المناجم، وأبرز المساهمين في البنك الفرنسي، ترأس مجلس وزراء فرنسا ابتداء من مارس 1831م، إلى غاية وفاته متأثرا بداء الكوليرا في أكتوبر 1832م. خدم خلال فترة رئاسته لمجلس الوزراء الفرنسي البرجوازية الرأسمالية، وأبدى نوعا من الليونة تجاه أعيان الحكم السابق في الجزائر، ومنهم الداي حسين باشا. أنظر:

BERTHIER de SAUVIGNY - **PERIER CASIMIR (1777-1832)**- avril 2018- Encyclopedia Universalis. URL : Retrieved from http://www.universalis.fr/encyclopedie/casimir-perier.

[9] A. JAL- op.cit- p44.

[10] FIGARO- (mercredi 24 AOUT 1831)-6(236)p 4.

[11] FIGARO- (vendredi 26 AOUT 1831)-6(238)p 3.

[12] L'Echo d'Alger-(vendredi26 aout 1831)-3(958)p 2.

داي الجزائر إلى البانسيونة (إقامة الطالبات« Le Dey d'Alger ou La visite au Pensionnat » من تأليف الآنستين إتيان ونانتيل.De M,M. Etienne et Nanteuil وقد نشرت المسرحية في كتاب في السنة نفسها[13].

تعبر هذه المسرحية، التي تجاوبت مع الحدث السياسي في الساحة الباريسية، عن الموقف الشعبي الفرنسي من زيارة الداي، حيث يعرض أحد شخوص النص المسرحي على إحدى مقيمات البانسيونة أن تكون الزوجة الرابعة لداي الجزائر الأسبق، الذي تم استدعاءه لتزويجه من الآنسة الجميلة. وتتخلل النص عبارات تحمل تلميحات عديدة تشير إلى ثراء الداي الفاحش، وعلاقته الوطيدة بالعائلة المالكة، ورغبة الحكومة في الاعتماد عليه في حكم "الجزء الإفريقي من فرنسا بناء على طلبه"[14]. وهي عبارات تكشف عن الرفض الشعبي الفرنسي لعودة هذا الداي إلى وظيفته في المستعمرة الإفريقية، بعدما نال الإعلام الفرنسي من شخصه، ومن سمعة جميع الأتراك في الجزائر في سنوات اضطراب علاقة فرنسا بحكومة الإيالة.

في غضون الأيام التي رحل فيها حسين باشا من باريس تجاه ليفورن انتشرت شائعات في الصحف الباريسية تفيد بأن الداي قد رحل بعد إهانات لحقته من السيد هوراسسيباستياني le comte H.Sebastianiوزير الشؤون الخارجية[15]. ونحن لم نعثر على معلومات تصف تلك الإهانات، فقط وردت ضمن كتيب من 16 صفحة حررت صفحاته بلغة شاعرية من قبل السيد م. سوسيني M. Susini، في شكل خطاب من الداي لسيباستياني، وفي قالب هزلي استغل الشاعر ما اعتبره طردا للداي من باريس للتهجم على قادة ثورة يوليو؛ إذ لم يتخذ سوسيني موقفا واضحا من الإهانة التي تعرض لها الداي، ولكنه أشار بوضوح إلى أنه "جرحت كرامته، ما اضطره إلى الرحيل"، ولم يخلو هذا النص من انتقاد الداي نفسه، حين يدعي صاحبه "الانتقام لشخص مسن مليء بالكرامة، فضل المخاطرة بعرشه في حرب مع فرنسا"[16].

4. غموض مطالب الداي:

يبدو أن هناك في مديرية الشؤون الخارجية الفرنسية من سعى لتحوير أهداف زيارة الداي إلى فرنسا، وكذلك جميع مراسلاته إلى الملك أو لرئيس مجلس الوزراء أو وزير الخارجية، وحتى مساعيه الحقيقية من وراء الزيارة إلى باريس نجدها تحال عليها هالة من الغموض، وتعلن المطالب المالية كدافع رئيسي خلفها. فمجمل الرسائل التي أوردها أوجين بلانتيت تظهر الداي في وضعية المتسول؛ إذ تورد مختصرات ترجمة رسائل الداي إلى الملك، مطالب مالية تافهة جدا صادرة عنه. وهو ما يدل على احتيال يكون قد وقع، قام به القائمون على مديرية الشؤون الخارجية أثناء ترجمة رسائل الداي، أو قام به المترجم الخاص للملك السيد دو غرانجDesgranges، في محاولة لإخفاء مطالبه الحقيقية، خشية أن تثير اهتمام الملك لويس فيليب.

وحتى الرسالة الموجهة إلى رئيس الوزراء كزيميربيربي، والتي أرسلت من باريس عقب استقبال الداي من قبل العائلة المالكة لم توضح الدوافع السياسية لداي الجزائر الأسبق، باستثناء بعض التلميحات الغامضة من قبيل: "...أرجوك سيدي الرئيس أن تمنحني مقابلة طويلة

---

[13]De M,M. Etienne et Nanteuil- **Le Dey d'Alger ou La visite au Pensionnat.** Comédien un acte en prose, Représentée pour la première fois à paris sur le théâtre du Gynnase Dramatique, le 30 septembre 1831-J.N. Barbra- Paris-1831.

[14]Ibid- p19.

[15]يبدو أن الداي قد تأكد من عداء وزير الخارجية الكونت سباستيان لمطالبه، بدليل أنه لم تصدر عنه أي رسالة أخرى إلى باريس منذ رحيله عنها إلى غاية تغيير وزير الخارجية وتولي بروغلي(11 أكتوبر 1832م)، إذ تعود رسالته إلى الدوق بروغلي إلى تاريخ 21 فيفري 1833م.

[16] M.Susini - **Les adieux de Hussein-Pacha, dey d'Alger, à M. le comte Sebastiani, ministre des Affaires étrangères-** Paris:Imp du de Goetschy- 1831- p4.

ومتابعة حتى أتمكن من التحدث في أمور جديرة باهتمام حكومة فرنسا، ومن صالحها أن تبحثها وتعرفها"[17]. وهي "الأمور" التي لم تفصح عنها حتى الرسالة إلى الدوق دو بروغلي Duc de Broglie[18] وزير الشؤون الخارجية، مؤرخة في 21 فيفري 1833م، والتي عادت لتبرز المطالب الاجتماعية المالية نفسها التي طالما كررتها الرسائل السابقة؛ حيث يُعلم الداي الوزير بأنه "جاء إلى باريس في شهر أوت 1831م، قدم إلى جلالة الملك طلبا عرض فيه حاله ومطالبه، ... وحتى يطلب منه أن يمنحه مصدر رزق لعائلته وحشمه"[19]، ولكن الرسالة نفسها أوردت ما يكشف بعض الشيء عن المطالب الحقيقية للداي، من خلال حديثه عن حسونة الدغيس الطرابلسي[20] الذي كلفه بحمل الرسالة إلى دوق بروغلي Duc de Broglie،راجيا أن يكون "وسيطا بين الممضي أسفله (الداي حسين) وحكومة جلالة ملك فرنسا في كل ما يراه مناسبا"[21].

إن ما يغلب على رسائل الداي إلى لويس فيليب ووزرائه هو المطلبية الشخصية، فالرسائل جميعها تكاد تحصر قضية سقوط إيالة، كانت لوقت قريب تهيمن على غرب المتوسط وأطرافه، في شخصه، فيبدو فيها مدافعا عن نفسه، ساعيا لاقتطاع رضا الملك وحاشيته. وفي نفس الوقت ملحا على إظهار حاجته لدعم مالي يسد به حاجته وحاجة حاشيته، متوسلا عطف الملك وكرمه، طالبا بصريح العبارة "منحة غدائية"، راجيا أن تكون وفق ما عبر عنه: "**تتناسب مع سعتكم وكرمكم**". وقد بالغت رسائل الداي في استعمال عبارات الاستجداء والاستعطاف، من قبيل: "**ستمسني الحاجة والفقر**"، و"**يؤثر فيك حالي**"، و"**أتوسل كرمك تجاهي**"، و"**نفسي المحزونة**"، و"**تمنعوننا الفاقة والبؤس**"[22].

إن مهمة حسين باشا في العاصمة الفرنسية قد أثارت تساؤلات جمة من قبل بعض المثقفين الفرنسيين الذين لم يستسيغوا التسويق الإعلامي المشوه لمساعي داي الجزائر في باريس، في صورتها المالية البحتة. فقد أوردت جريدة باريس Journal de Paris تقريرا مفصلا كتبه الصحفي أ. جال A. Jal عن حيثيات لقائه بحسين داي في مقر إقامته؛ حيث دون جميع محاوراته مع ضيف باريس، واستطاع الصحفي أن ينقل إلينا في مقاله صورة ذلك البذخ الظاهر على ثياب ومقتنيات الداي، من خواتم عاجية ، وثياب حريرية، وخنجر عربي مرصع بالألماس. كما أشار، في معرض مقارنته بين لباس الداي ولباس دون البرازيل، إلى امتلاك الداي لثروات تعد بالملايين. وهو ثراء لم يحاول الداي إخفاءه، مما يفند تبرير زيارته بدعوى السعي لتحسين وضعه المادي.

لقد تساءل السيد جال في نهاية تقريره عن الأسباب الخفيَّة وراء زيارة الداي، وإمكانية أن تكون له رغبة في لعب أدوار سياسية في الجزائر، كأن يكون حاكما للمستعمرة ممثلا لجلالة الملك الفرنسي. ولكن م. جال نفسه أبدى عدم اقتناعه برغبة الداي في أداء هذه المهمة، مبررا ذلك بأنفة

---

[17] أوجين بلانتيت- **مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنسا 1700م-1833م**. ترجمة: إلياس جيجيك وسلامنية داوود- دار الوعي للطباعة والنشر- الجزائر- 2013- ص325.

[18] تولى وزارة الشؤون الخارجية من 10 أكتوبر1832م، إلى 22 فيفري 1834م. أنظر:

Pouthas Charles H.(1954, Avril-juin). **Les ministères de Louis-Philippe**. Revue d'histoire moderne et contemporain. 1 (2). Pouthas Charles- Les ministères de Louis-Philippe- Revue d'histoire moderne et contemporain. - Avril-juin 1954- pp 102-130

[19] أوجين بلانتيت- ص328.

[20] هو حسونة الدغيس الطرابلسي(1776-1836م)، ينحدر من عائلة أصلها من الروملي، تولى أفرادها وظائف سياسية وإدارية في حكومة طرابلس الغرب منذ أواخر القرن 17م، ولد في أواخر القرن 18م، تلقى تعليمه الأول في طرابلس ثم أرسله والده إلى فرنسا للتعلم والتجارة، وأظهر حنكة وقدرة فائقتين على إنماء رصيده العلائقي مع الساسة والدبلوماسيين الأوروبيين، وعموم الطبقة الأرستقراطية في أوروبا. وكذلك في التحصيل المعرفي حيث أصبح مثلما وصفه قنصل السويد في عصره: "نادرة زمانه في المعرفة والعلم والتمدن". وقد أهلته تلك المكتسبات ليؤدي دورا مهما جدا في العلاقات المغاربية الأوروبية العثمانية، في فترة اتسمت بصعود الأطماع الاستعمارية، وتراجع مكانة الدولة العثمانية. كما تولى وزارة الخارجية في طرابلس الغرب في عهد صهره يوسف باشا القرمانلي، ليستقر أخيرا في اسطنبول مديرا لجريدة "تقويم الوقائع" العثمانية حتى وفاته من جراء وباء الطاعون في 1836م. لمزيد من المعلومات حول هذه الشخصية الإصلاحية المغاربية أنظر: التميمي، عبد الجليل- **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816-1871م**- تقديم روبارمنتران- ط1- الدار التونسية للنشر- تونس- 1972م – ص ص263-324.

[21] أوجين بلانتيت- ص330.

[22] أوجين بلانتيت- ص332.

الداي الذي لا يعتقد أنه يرضى بأن يكون تابعا لملك فرنسا، بعد أن كان سيدا لا ينازعه السؤدد أحد[23]. فضلا عن كثرة الخصوم حوله، في حال ما إذا عاد إلى الجزائر مندوبا لفرنسا، ما قد "يعجل بحز رأسه" سواء من طرف الناقمين عليه من عموم الجزائريين، أو من ضباط الاحتلال المعارضين لأي دور تركي في المستعمرة[24].

5. اتهامات بالتحريض على الثورة:

من أجل قطع الطريق أمام أي اتفاق يتم التحضير له بغية إنجاز عمل سياسي مشترك بين فرنسا المحتلة وخصمها "الذريعة" في الإيالة، أو لإفشال أي محاولة لعودة الداي إلى منصبه ممثلا لفرنسا، وجهت له في باريس اتهامات من قبل مديرية الشؤون الخارجية الفرنسية بالتحريض على الثورة في الإيالة المحتلة. والعمل على إرسال شحنات من الأسلحة، بصفة سرية، من مدينة ليفورن إلى شيوخ قبائل إقليم بجاية، بواسطة سفن تونسية. وادعت مصالح شؤون فرنسا الخارجية تمكن السيد دو فورمونتDe Formont، قنصل فرنسا في المدينة من إفشال المخطط. وتشير تقارير وزارة الخارجية حسب ما أورده أوجين بلانتيتEugéneBlantetإلى تورط حسين داي مع صهره مصطفى واليهودي بوشناق؛ حيث كان يتراسل مع عرب الإيالة بغرض إحداث ثورة عامة، وأنه سلح أسطولا بغرض نقله إلى مدينة بجاية، بغية اتخاذها مركزا للثورة بمساعدة حكومة توسكانيا[25]. وقد أشار الكاتب نفسه إلى وجود رسائل تحريضية وجهها حسين داي إلى عشرة أشخاص في مناطق مختلفة من الإيالة[26].

لقد اتخذت حكومة فرنسا تلك الاتهامات ذريعة أخرى لرفض جميع مطالب حسين باشا وادعاءاته بدعوى انتهاكه لمعاهدة الاستسلام، التي لا يمكنه حيال ذلك "المطالبة بأن يستفيد من بنودها"[27]. والحقيقة أن هذه الاتهامات وجهت لجميع العناصر التركية والجزائرية التي لم تبد الخضوع المطلق، والتعاون المبالغ فيه مع سلطات الاحتلال؛ إذ شهدت مدينة الجزائر في السنوات الأولى للاحتلال إجراءات عقابية وصلت حد النفي القسري، طالت أعيان المدينة وأغلب عناصر الجالية التركية. وهي حملة عدائية مبرمجة بدأ التخطيط لها بمجرد استسلام المدينة. فرغم أن معاهدة الاستسلام تنص على أن الأتراك من جملة ساكنة المدينة[28]، إلا أن قائد الحملة وموقع المعاهدة دي بورمونتDe Bourmont، بادر منذ الوهلة الأولى إلى البحث عن أتفه الأسباب لملاحقتهم، فقام طيلة الأشهر التي تلت حادثة سقوط المدينة بطردهم و"نفيهم واضطهادهم، ففصلوا عن نسائهم وأطفالهم دون أن يقترفوا أي ذنب، وكانوا يقتادون إلى السفن قبل ساعة الإبحار بأيام عديدة"، ولخلق مبرر لتلك الممارسات أشيع أنهم "يتبنون التآمر ضد الفرنسيين"[29].

---

[23] ذلك ما يرجح سعي الداي لاستعادة حكمه للجزائر، مقابل شروط غير مذلة، وهو الذي رفض جميع المطالب الفرنسية قبل التسليم لمجرد أن الفرنسيين كانوا يرغبون في إذلاله.

[24] A.JAL- **Une visite au Dey d'Alger**- p36.

[25] عثرنا في الأرشيف التونسي على وثيقة هي عبارة عن رسالة من القنصل الفرنسي في تونس إلى حسين باشا باي تتضمن طلبا من القنصل للباي بضرورة اتخاذ الإجراءات اللازمة لمنع تهريب الأسلحة والذخيرة إلى الجزائريين، مخبر إياه بعلمه بوصول سفينة توسكانية إلى تونس مرجحا إرسالها إلى الحاج أحمد باي. غير أن ما يلاحظ على هذه المراسلة أنها متأخرة نوعا ما بالنسبة لتاريخ إقامة الداي في ليفورن؛ حيث نجدها مؤرخة في: 28 أكتوبر 1835م. الأرشيف الوطني التونسي– الصندوق 223– الملف 384– و8.

[26] أوجين بلانتيت– ص328.

[27] مصدر نفسه– ص329.

[28] نص البند الخامس من معاهدة تسليم مدينة الجزائر على الإبقاء على ممارسة الديانة المحمدية حرة، والتزام فرنسا بعدم النيل من حرية السكان من جميع الطبقات. قنان جمال– **معاهدات الجزائر مع فرنسا**– المؤسسة الوطنية للكتاب– الجزائر–1987– ص349.

[29] حمدان بن عثمان خوجة– مصدر سابق– ص195.

ولا تهمنا هنا تفاصيل الملاحقات الفرنسية للجالية التركية[30]، بقدر ما يهمنا وضع اتهامات قنصل ليفورن لحسين داي في إطار استراتيجية فرنسية عامة، تقتضي خلق حجج وذرائع لتحقيق سياساتها. والتي تدخل ضمنها خطة الطرد الكامل للعناصر التركية لعزل القضية الجزائرية عن الكنف العثماني، وتدجين باقي العناصر التي تسعى للحفاظ على مكتسباتها المادية في الإيالة، عن طريق الخضوع التام لضباط الاحتلال، وتبرير دوافع الاحتلال المعلنة، والتي من بينها دعوى تخليص الجزائريين من الاضطهاد التركي.

لاشك أن الساسة الفرنسيون قد أخذوا بعين الاعتبار جميع تلك المساعي العثمانية لاستعادة الجزائر، فناورت الحكومة الفرنسية على أكثر من صعيد لإفشال كل مسعى، ولسنا هنا بصدد الحديث عن المساعي العثمانية لاستعادة الإيالة الضائعة، فما يهمنا هو مكانة الداي حسين ضمن جهود الباب العالي ودوائره الدبلوماسية. فهل يمكن الحديث عن دور يكون قد قام به حسين باشا بالتنسيق مع ممثلي الباب العالي لاستعادة الجزائر؟

يبدو أن اسم الداي حسين لم يرد مطلقا في مشاريع استعادة اسطنبول لولايتها في شمال إفريقيا، فالمؤرخ التركي أرجمنت كوران، الذي حاول رصد كل السياسات العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، لم يورد أي دور للداي السابق ضمن المساعي العثمانية؛ إذ أن المبعوث العثماني طاهر باشا لم يستطع الاتصال مطلقا بالداي حسين، في مهمته التي فشلت في دخول الجزائر بفعل الحصار المضروب عليها، رغم أنه كان يحمل خطابا يجبر الداي على تعويض فرنسا عن الإهانة التي لحقتها من جراء تصرفه مع القنصل دوفال، ولم تنجح محاولاته حتى في الاتصال بالحاج أحمد باي قائد المقاومة في قسنطينة. كما أن المحاولات العثمانية الجادة التي أوكلت للسفير المعتمد في باريس مصطفى رشيد باي ونوري أفندي في لندن(1834م)، لم نجد للداي حسين دورا فيها، ولعل ذلك يعود إلى كون الداي كان الذريعة الرئيسية للغزو الفرنسي على الجزائر، وعزله عن القضية الجزائرية من قبل الباب العالي هو إثباتٌ على تأديبه وتحميله مأساة الحرب بين الجزائر وفرنسا، وهو ما يمكن اعتباره تصرفا يستهدف استرضاء الفرنسيين من قبل السلطنة العثمانية، من أجل حل دبلوماسي لمسألة الجزائر[31].

تدلنا رسالة الداي الأخيرة إلى الدوق دو بروغلي على علاقات مهمة جدا تربط الداي حسين بحسونة الدغيس الطرابلسي، الذي أوكل إليه حسين باشا مهمة الوساطة بينه وبين حكومة الملك الفرنسي "في كل ما يراه مناسبا"، وهو تفويض مطلق يدل على الثقة المتبادلة. ويدعم، بلا شك، هذه الثقة علاقة حسونة الدغيس بالسيد حمدان بن عثمان خوجة، أحد أكثر أعيان مدينة الجزائر دفاعا عن حسين داي، وعن إعادة الجزائر إلى الكنف السلطاني العثماني. وهما الشخصيتان اللتان نجد لهما اتصالا وثيقا قد يعود إلى سنوات ترددهما على باريس ومرسيليا للتجارة، قبل الغزو الفرنسي للجزائر. ويدل عليه ترجمة الدغيس لمرآة حمدان خوجة من التركية إلى الفرنسية، ثم استقرارهما في اسطنبول وعملهما في جريدة "تقويم وقائع"، واتفاقهما على نفس المطالب الموجهة للباب العالي بخصوص الجزائر، والإيالات المغاربية عموما، حسب ما تبيِّنُه كثير من نصوص مراسلاتهما للسلطان محمود[32].

---

[30] قمنا بإنجاز دراسة لم تنشر بعد حول مصير الجالية التركية في الجزائر بعد تسليم المدينة، وسياسات إدارة الاحتلال في هذا الشأن، وهي بعنوان "تهجير أتراك الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي –دلالات وأبعاد".

[31] لمزيد من المعلومات حول مساعي الباب العالي لاستعادة الجزائر، أنظر: أرجمنت كوران- **السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر**- ترجمة عبد الجليل التميمة- منشورات الجامعة التونسية- تونس- 1970.

[32] عبد الجليل التميمي- **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816-1871م**- ص ص130-194.

نعتقد أن الحراك العثماني لاستعادة الجزائر، وما صاحبه من مساعي في الاتجاه نفسه من قبل هذه الشخصيات المقربة من الدوائر الدبلوماسية الفرنسية، قد عجل بدفع الداي إلى مغادرة باريس، ثم ليفورن، إبعادا له عن أي دور يمكن أن يؤديه في هذا المجال، ولإفشال أي محاولة يقوم بها لدى الملك لويس فيليب.

6. الهجرة من ليفورن إلى الاسكندرية:

تبدو هجرة حسين داي، التركي المسلم، من ليفورن إلى المدينة المصرية الاسكندرية أمرا طبيعيا، بحكم الدين والثقافة. غير أن نصوص مراسلات الداي تكشف عن دوافع أخرى وراء الهجرة من إيطاليا؛ فقد تضمنت رسالة الداي إلى دوق بروغلي(فيفري 1833م) إعلان إبداء رغبة في مغادرة ليفورن نحو الاسكندرية حتى يثبت حسن نواياه، وبراءته من الاتهامات التي طالته، بخصوص إرسال الأسلحة والتحريض على الثورة في الجزائر، وهو المبرر الذي اتخذ سببا لرفض جميع مطالبه، سواء كانت مادية، أو سياسية[33].

ومن خلال بعض الوثائق المحفوظة التي نشرها الباحث محمد السعيد قاصري، والتي عثر عليها بمديرية الوثائق الملكية بالرباط، فإن الداي حسين قد أبدى للسلطان المغربي عبد الرحمان بن هشام رغبته في الاستقرار بالمغرب، قبل هجرته إلى الاسكندرية المصرية؛ حيث أرسل خطابا شفويا بواسطة أحد تجار تطوان يحمل في طياته طلب لجوء إلى المغرب، والسكنى في مدينة تطوان التي تتواجد بها جالية جزائرية معتبرة، أو طلب تدخل السلطان العلوي في المصير الذي آل إليه. وقد أبدى السلطان ترحيبه بالداي حسين وحاشيته، وتعهد بتوفير الأمن له، في نفسه وماله، ولخَدَمه وحاشيته. وتكشف مراسلات السلطان وأعوانه بهذا الشأن، عن حمولة دينية تتجلى في نصح الداي بأهمية السكنى في بلاد المسلمين "أين يسمع آذانهم، ويلزم جماعتهم، ولا يبقى غريبا ببلاد الكفر"[34]. ونرجح أن حسين باشا قد استقر على أمر الهجرة إلى الاسكندرية قبل وصول رد السلطان عبد الرحمان .

لقد طلب حسين باشا من وزير الخارجية الفرنسي، عن طريق قنصل ليفورن، أن ترسل حكومة فرنسا فرقاطة لنقله هو وعائلته ومواليه من مدينة ليفورن إلى الاسكندرية[35]، بعد أن يرسل وزير الشؤون الخارجية رسالة تزكية إلى والي مصر، حليف الفرنسيين محمد علي باشا. وقد بين قنصل فرنسا في ليفورن أن حسين باشا لم يطلب الذهاب إلى الاسكندرية إلا بهدف نقل أسرته وإبعادها عن الدسائس. وذلك من أجل توفير أجواء ملائمة، حتى يحظى بثقة الحكومة الفرنسية، أمام الاتهامات التي رفعها خصومه في وجه مطالبه.

لقد قبلت وزارة الخارجية تغيير إقامة الداي إلى الاسكندرية، وصرح ممثلها الدوق دالماسيD. Dalmatieأن مراقبته ستكون أسهل هناك، حيث يكون بعيدا عن تجار الأسلحة النابوليتانيين والتوسكانيين. ولم يحصل الداي على أي رد بخصوص طلباته المالية؛ حيث التزمت وزارة

---

[33]أوجين بلانتيت- ص331.

[34]محمد السعيد قاصري- **موقف السلطان المغربي من الداي حسين عقب الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م**- مجلة منتدى الأستاذ- ع 03- أفريل 2007- ص ص147-158.

[35]تكشف بعض وثائق الأرشيف التونسي عن مكانة مميزة جدا لأحد أبناء داي الجزائر السابق، واسمه أحمد بديع أفندي، الذي كان يشغل وظيفة مأمور بيت الترجمة بالباب العالي، حيث تلقى باي تونس المذكور بخصوصه رسالتان على الأقل، واحدة من والي مصر محمد سعيد باشا في 05 أوت 1857م، وأخرى من الصدر الأعظم محمد علي باشا مؤرخة في 09 أوت 1859م. وكلتا الرسالتين توصي باحترام الشخص المذكور ورعايته في زيارته إلى تونس (لتغيير الهواء) مرورا بمصر وطرابلس. أنظر: الأرشيف الوطني التونسي- علبة 223. ملف 382- و7. وكذلك: علبة 221- ملف 354- و31.

الشؤون الخارجية موقف اللامبالاة تجاه طلبات الداي، ورفض الوزير تقديم أي إجابة بخصوص ذلك[36]، رغم تخصيص حكومة العلم المثلث لخمسمئة ألف فرنك لدعم اللاجئين تناغما مع ثلاثية "الأخوة والحرية والمساواة"، التي طالما تغنى بها أنصار الثورة الفرنسية[37].

- **خاتمة:**

لا يمكن تفسير مراسلات الداي حسين باشا إلى الملك لويس فيليب ووزرائه، وزيارته إلى باريس، التي أقام بها أكثر من شهرين، إلا بالسعي لاستدراك حل دبلوماسي للقضية الجزائرية، يعيد الإيالة إلى سلطة الأتراك العثمانيين، رغم محاولات الدبلوماسية الفرنسية التغطية على المطالب السياسية الحقيقية للداي، وصمت الكتابات التاريخية الفرنسية حيال ذلك. مثلما يمكن وضع جهود الداي تلك ضمن مساعي أخرى جهر بها حمدان بن عثمان خوجة والباشا حسونة الدغيس، بعد ذلك في سنوات استقرارهما في إسطنبول.

كما أن موضوع علاقات الداي حسين بفرنسا عقب الاحتلال، يمكن أن يخضع لمزيد من الدراسة والبحث الجاد، المدعوم بالمصادر الوثائقية، التي تكشف عن تفاصيل زيارته إلى باريس، وحقيقة الاتهامات الموجهة إليه بخصوص تسليح أهالي بجاية، وعلاقاته بحمدان بن عثمان خوجة والباشا حسونة الدغيس الطرابلسي، وما إذا كان له(الداي) دور في المساعي العثمانية لاستعادة الجزائر إلى الكنف العثماني.

[36] أوجين بلانتيت- ص331.

[37] Susini M -p 3.